اليوم الأخير

(عن صحيفة الجهاد)

استقبل « شوقى » يوم الخميس ١٣ اكتوبر سنة ١٩٣٢ كما كان يستقبل أمثاله من الايام ، وما درى أن شمس هذا النهار لن تطلع عليه مرة أخرى إلا وهو فى جوار ربه ، وقد رآه أصدقاؤه كما كانوا يرونه فى أيامه السالفة نشيطاً حلو البادرة وإن كانت السنون والاحداث قد أعيته باعبائها فبدا شاحباً كثير التحوط والتخوف. وقد تناول طعام غذائه واستراح متمدداً على كرسيه الى وقت الأصيل فاستقل سيارته للتنزه على سُنته وبرفقته وكيل أعماله وكاتب شعره الذى يلازمه فى السنتين الاخيرتين فى غدواته وروحاته . وقد طاب له ارتياد الاماكن الخلوية ، فما زالت السيارة تسير به الى ان وصلت طريق السويس فى صحراء مصر الجديدة فرأى أن يترجل مستنشقاً للهواء الطلق .

وبعد أن قضى أربه من النزهة ، عاد قاصداً منزل اسماعيل شرين بك كدأبه كل أمسية إذ يسمر مع نخبة من كرام القوم فى مجلس أنيق ، وأكثر من كان يناقشه ويحاوره هناك العالم المهذب فؤاد سليم بك والسيد المفضال اسماعيل شرين بك ، لكن مجلس السمر لم يكن منعقداً فى تلك الليلة ، فعاد « شوقى » راغباً فى تناول طعام العشاء ، وهو منشرح الصدر ، منبسط النفس .

تعشى فى مطعم (سلستينو) على ما جرت عليه عادته أيضاً ، ثم رغب فى أن يتم بقية البرنامج الليلى الذى قلما يحيد عنه ليلة واحدة .

(فى دار « الجهاد » — ليلة الوفاة)

وبقية البرنامج الذى أخذ نفسه به زيارة دار « الجهاد » فلم ينقطع عنها ليلة واحدة ما دام مقيماً فى القاهرة بل هو قد يكررها فى الليلة الواحدة ، وهو لا يفتأ يجد راحة نفسه ساعة يجلس فى حجرة صاحب « الجهاد » ويتحدث اليه ، ثم يتناول قهوته ويستقل سيارته فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل فيأوى الى فراشه .

وصل دار « الجهاد » حوالى الساعة العاشرة من مساء الخميس ، ولما رأى حجرة صاحب « الجهاد » تموج بالزائرين تلك الليلة رغب فى التحول الى حجرة سكرتيرية التحرير فجلس هناك . وفطن صاحب « الجهاد » الى جلوس « شوقى » فى الحجرة المجاورة فاستأذن من زوّاره وانتقل الى حيث يجلس « شوقى » وجعل يحييه ويسأله عن صحته فيحمد الله عليها ، ثم بدا « لشوقى » أن يدخن سيجارة وأن يقدم أخرى لصاحب « الجهاد » وجلسا يدخنان . وحانت التفاتة من صاحب « الجهاد » فلمح « شوقى » يعالج سعلة خفيفة فاستفسر منه عن أسبابها ورجا أن تكون آثار برد أو تسرب هواء ، فأجابه «شوقى» : انى أشعر بآثار برد فى قصبة الرئة وقد يكون مسبباً عن تغيير الأجواء بين الفصلين . ثم شرب القهوة ، ولم يبد على ملامحه ولا على قسماته شيء غير مألوف . انتهى حديث البرد ثم قال لصاحب « الجهاد » : لعلى أصيب دفئاً فى بيتى الآن فلا تأهّب للذهاب . فودعه صاحب « الجهاد » كما يفعل

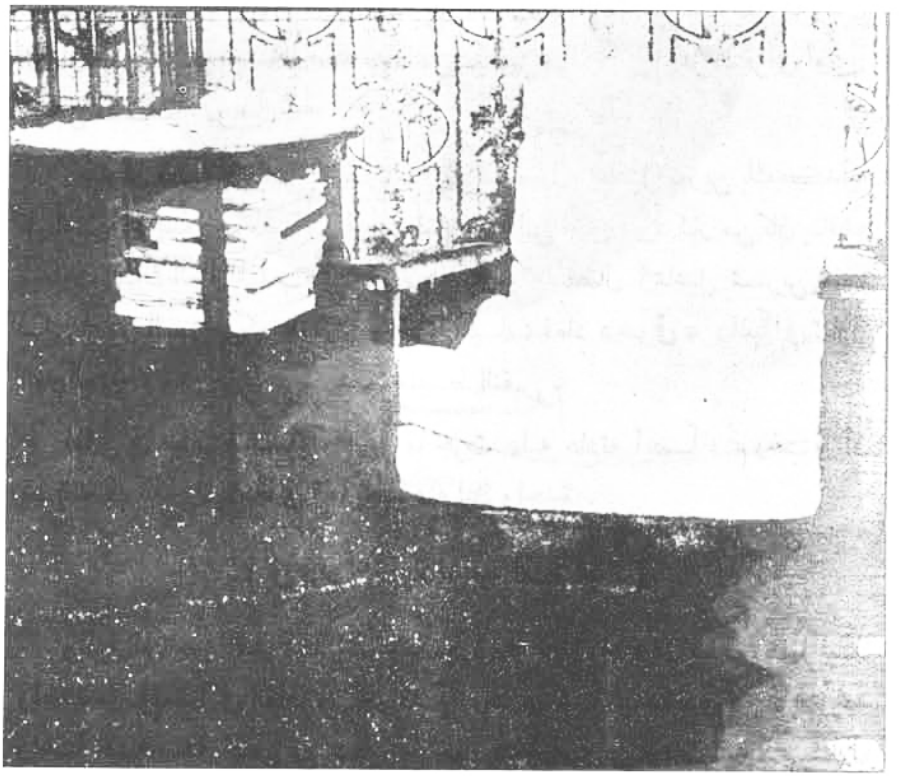

(الكرسى الذى اعتاد الفقيد الاستراحة عليه فى غرفة نومه وبجانبه منضدة كتب)

﴿ جانب من غرفة نوم الفقيد ﴾

وهى التى نظم فيها الكثير من شعره الأخير وكانت أيضاً بمثابة مكتبة له .
وقد قررت أسرة الفقيد استبقاء هذه الغرفة على حالها للذكرى التاريخية

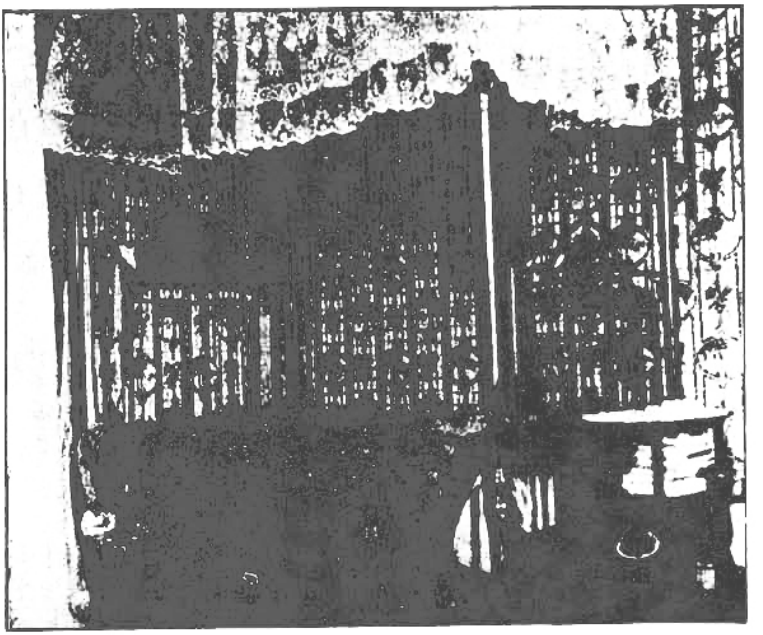

(السرير الذى مات عليه الفقيد)

كل ليلة . ولما أشرف على اعتلاء السيارة قال للسائق : رويدك فى السير فان أمامك أربطة من الجنود فى منطقة الجيزة ، وقد شاهدتَ مايفعلون عند مغادرتنا للمنزل . وودّعه على باب « الجهاد » فريق من أسرة دياب بسنهوت ، وسارت به السيارة الى ما ينتظره بعد ساعات .

(فى كرمة ابن هانىء — نوم ويقظة)

بلغ « شوقى » منزله الساعة الحادية عشرة ، وصعد الى مخدعه ، وطفق خادمه الخاص يقوم بخدمته ويهيىء له حوائج الليل ثم أرخى عليه سدول الكلة ، ودهب لينام . وما كاد الخادم يدخل فى النوم حتى سمع صلصلة الجرس يستدعيه الى حجرة سيده فقام مسرعاً ، وله عادة قد جرت على ذلك . فلما انتهى الى حجرة النوم رآه مستيقظاً وكانت الساعة الثالثة أو تزيد فشكا بعض ضيق فى التنفس ، وطلب ماء ساخناً وورق كافور ، فبادر الخادم وأحضرهما . غير أن « شوقى » رأى هذه النوبة لا تعالج بعلاجه هو الذى يباشره « بنفسه » ، فطلب الى الخادم استدعاء أحد الطبيبين اللذين يعالجانه دائماً — الدكتور برسكا ، والدكتور جلاد —

فذهب الخادم يستدعى بالتلفون الدكتور جلاد ، ثم عاد الى الحجرة ، فرأى سيده يطلب استدعاء أفراد الأسرة وايقاظهم ليراهم تلك الساعة ، فصدع بالامر ، ثم عاد اليه يخبره ان السيدة البارة قرينته ستحضر ؛ غير أن « شوقى » رأى الفترات الباقية تتلاحق ، وأن الحين وشيك ، فأراد ليقول الكلمة الاخيرة ولو لم يحضر أحد من أفراد أسرته ، قال لتابعه : — انى أشعر بانتهاء أمرى فبلغ يا « احمد » سلامى وتحيتى الى أصدقائى ، وقل ذلك لاحمد أفندى عبد الوهاب فهو يعرفهم . وهنا حضرت السيدة قرينته فاذا هو يسلم الروح الى بارئها . وقد حضر الطبيب ولكن لات حين علاج ، فقد حُمَّ القضاء ، وسكنت تلك الانفاس التى كانت تروِّح على الناس فى فترات الحياة كلما اشتدت نكباء الدنيا

◆◆◆◆◆

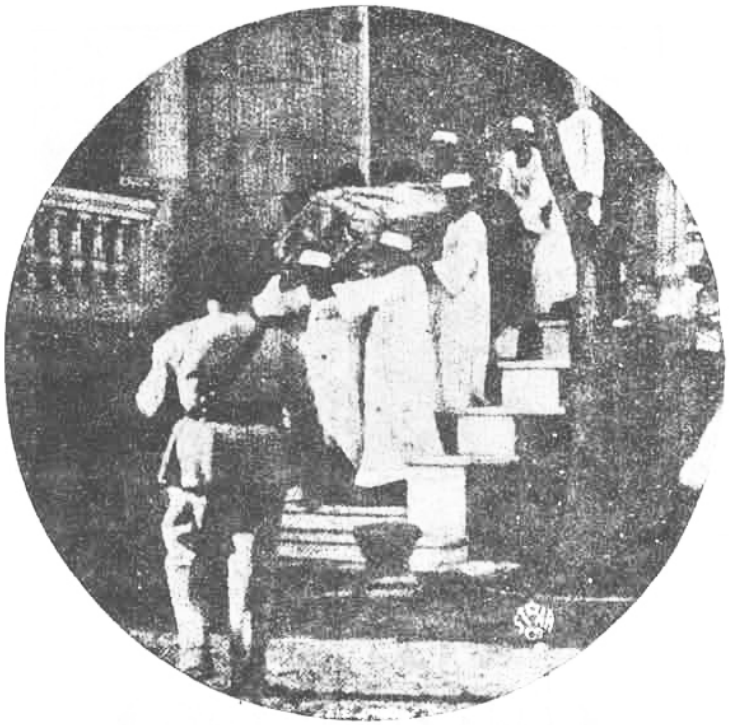

﴿ نعش الفقيد محمولاً من داره ﴾

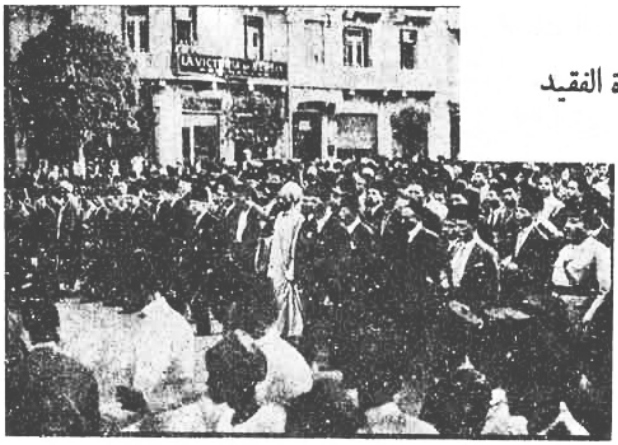

جنازة الفقيد

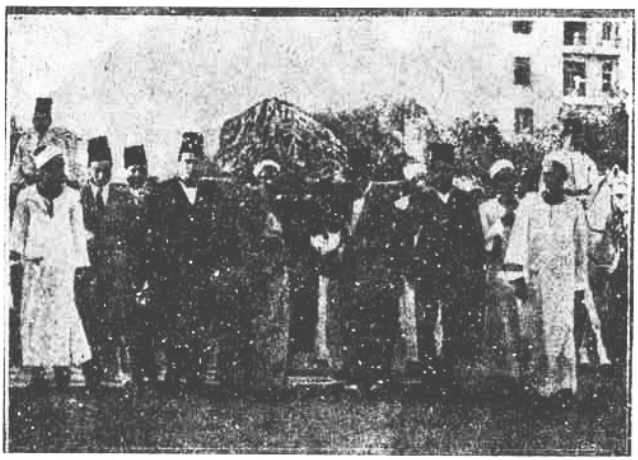

نعش المغفور له شوقى بك

﴿ وَحَمَلَتْهُ من أعضاء (جمعية أبولو) ﴾